فلسفة الذكاء الاصطناعي وأخلاقياته ـ قـراءة فلسفية في السياق العربي.

د.نجاح أبو القاسم بن زائد ـ الهيئة الليبية للبحث العلمـــي بطرابلس
أستاذ مشارك بقسم الفلســـفة
najahzayed85@gmail.com

Artificial Intelligence: Its Philosophy and Ethics – A Philosophical " Inquiry within the Arab Context

Abstract

This study aims to provide a philosophical and ethical reading of Artificial Intelligence (AI), moving beyond its technical dimension to critically examine its epistemological foundations and human implications, particularly within the Arab context.

The research begins with the central assumption that AI is not merely a technological tool, but a manifestation of a worldview that redefines the relationship between human and machine. It raises profound questions about consciousness, will, meaning, and moral responsibility.

Employing a critical-analytical methodology, the study deconstructs core concepts and addresses the philosophical and ethical challenges posed by intelligent systems. It also draws from Arab-Islamic thought in seeking a balanced and culturally grounded ethical framework.

The study concludes with a proposal for an Arab ethical charter for AI, emphasizing the importance of integrating local values and cultural specificities, instead of replicating Western models, in order to maintain human dignity in the age of automation.

Keywords: AI, Consciousness, Culture, Dignity, Ethics, Human, Philosophy, Responsibility, Technology, Values

الملخـــــــص:

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم قراءة فلسفية أخلاقيــة لظاهرة الذّكاء الاصطناعي، بعيدًا عن اختزالها في بعدها التقني، وذلك عبر مساءلة أسسها المعرفية، ونقد تداعياتها الإنسانية، وتحليل أثرها على مفهوم الإنســان في السياق العربي.

لقد انطلقت الدراسة من فرضية مركزية مفادها أن الذكاء الاصطناعي ليس مجرد تقنية، بل هو تعبير عن رؤية معرفية للعالم، تُعيد تشكيل العلاقة بين الإنسان والآلة،

وتفرض تحديات أخلاقية معقّدة تتطلب تأصيلًا نقديًا عميقًا.

اعتمد البحث منهجًا تحليليًا نقديًا، قائمًا على تفكيك المفاهيم الأساسية (كالوعي، والإرادة، والمعنى)، وتحليل الإشكاليات التي تثيرها التطبيقات الذكية، مع الانفتاح على الفكر الفلسفي العربي والإسلامي.

وقد بيّن البحث الحاجة إلى بناء ميثاق أخلاقي عربي، ينبثق من الخصوصيات القيمية والثقافية المحلية، ويتجاوز مجرد استنساخ النماذج الغربيـــة، ليشكّل إطارًا متوازنًا بين التطور التقني وصون الكرامة الإنسانية.

الكلمات المفتاحيـــــة: الأخلاق، الذكاء الاصطناعي، الفلسفة، القيم، الميثاق، الوعي، الإنسان، التقنية، الثقافة، المسؤولية.

المقدمـــــــــة:

في خضــم التّحولات التقنية الكبرى التي يشــهدها العالم المعاصر، تتقدّم تقنيات الذكاء الاصطناعي بوصفها الفاعل الجديد في إعادة تشكيل الحياة الإنسانية: في العمل، والتعليم، والعلاقات، واتخاذ القرار، غير أن هذا التقدّم، الذي قد يبدو ظاهريًا محايدًا أو تقنيًا صرفًا، يخفي في عمقه أسئلة فلسفية وجوهرية حول الإنسان ذاته: ما العقل؟ وما الوعي؟ وما الإرادة؟ وما الذي يميّز الإنسان عن الآلة إذا أصبحت الأخيرة قادرة على "التعلّم" و"الاختيار"؟

من هنا، تبرز الحاجة إلى قراءة فلسفية أخلاقية متأنية، لا تنبهر بالتقنية، بل تسائلها وتفكك فرضياتها وتسعى إلى بناء موقف إنساني ناقد ومستنير.

ولأن هذه الأسئلة تُطرح في سياق عالمي مشحون بالهيمنة المعرفية الغربية، فإن من الضروري أن يكون للعالم العربي موقفه، الذي لا يكتفي بالاستهلاك أو التقليد، بل يسهم في بناء وعي حضاري قادر على مواءمة التقدّم مع الخصوصية الثقافية والقيمية.

إشــكالية الدّراسة وتساؤلاتها:

تتمحور هذه الدراسة حول الإشكالية الآتية:

كيف يمكن مقاربة الذكاء الاصطناعي بوصفه ظاهرة فلسفية وأخلاقية، وليس فقط تقنية، في ضوء التحديات التي تواجهها المجتمعات العربية

ويتفرّع عن هذه الإشكالية عدة أسئلة فرعية:

1. ما الأسس الفلسفية التي يقوم عليها مفهوم الذكاء الاصطناعي؟
2. إلى أي مدى يمكن الحديث عن "أخلاق للآلة"؟

3. ما هي التحديات التي يطرحها الذكاء الاصطناعي على القيم والخصوصيات الثقافية في العالم العربي؟
4. وهل يمكن بلورة ميثاق أخلاقي عربي أصيل يتجاوز الاستنساخ ويعبّر عن الذات؟

أهداف الدراسة

1ـ تفكيك الأسس المعرفية والفلسفية للذكاء الاصطناعي.
2ـ تحليل التحديات الأخلاقية التي تفرضها الأنظمة الذكية.
3ـ استكشاف إمكانات التأصيل العربي لقيم الذكاء الاصطناعي.
4ـ اقتراح ملامح ميثاق أخلاقي عربي يراعي الخصوصية الحضارية.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها لا تتعامل مع الذكاء الاصطناعي كموضوع تقني فقط، بل كظاهرة ثقافية وفكرية تتطلب قراءة فلسفية نقدية. وهي تسعى إلى فتح أفق جديد في التفكير العربي حول التقنية، يستعيد فيه الفعل الفلسفي مكانته كمؤسس للوعي، لا كترف فكري.

كما تسهم الدراسة في تقديم تصور أولي لإطار أخلاقي عربي متكامل، يجمع بين الفلسفة والشرع والقانون، ويتجاوز الثنائية التقليدية بين "المحاكاة التقنية" و"القلق الأخلاقي".

منهجية الدراسة:

تعتمد الدراسة منهجًا تحليليًا–نقديًا، يقوم على تتبع المفاهيم الأساسية المتعلقة بالذكاء الاصطناعي، وتحليل بنياتها الفلسفية، ثم نقدها انطلاقًا من مرجعيات إنسانية وفكرية عربية. كما يُوظَّف المنهج المقارن في التمييز بين النماذج الغربية في التأطير الأخلاقي، والسياق العربي الذي يسعى البحث إلى تفعيله.

تقسيم الدراسة:

تتوزع الدراسة على ثلاثة مباحث رئيسة:

المبحث الأول: فلسفة الذكاء الاصطناعي: المفهوم، النشأة، والإشكاليات المعرفية، ويتناول هذا المبحث الأسس الفلسفية للذكاء الاصطناعي، ويُحلّل حدوده المفهومية وتاريخ تشكّله، مع إبراز الإشكاليات المعرفية التي يثيرها، مثل سؤال العقل، والوعي، والمعنى، وفي المبحث الثاني: أخلاقيات الذكاء الاصطناعي: المفهوم، التحديات، وإمكانات التأصيل العربي. ويُعالج هذا المبحث البعد الأخلاقي للذكاء الاصطناعي،

ويحلل التحديات الأخلاقية الراهنة، مع محاولة تأصيل رؤية أخلاقية عربية تنبع من الفلسفة الإسلامية والإنسانية، والمبحث الثالث: نحو ميثاق عربي لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي: بين التشريع، الثقافة، والتكامل المعرفي، ويقدّم هذا المبحث مقترحًا أوليًا لميثاق عربي لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي، ويركّز على ضرورة تفعيل البعد الثقافي والمؤسسي لضمان أخلاقيات مستدامة تنطلق من الذات لا من التبعية.

المبحث الأول ـ فلسفة الذكاء الاصطناعي ـ المفهوم، النشأة، والإشكاليات المعرفية:

لا تُعدّ مسألة الذكاء الاصطناعي قضية تقنية صرفه، بل هي إحدى تجليات التحوّل المعرفي العميق الذي يطال المفاهيم التأسيسية في الفلسفة، وعلى رأسها: العقل، الوعي، الإرادة، والوجود الإنساني. فما إن تجاوزت الآلة كونها أداة ميكانيكية إلى كيان "قادر على التعلم" و"اتخاذ القرار"، حتى دخلنا حيزًا مفاهيميًا جديدًا، يفرض مساءلة فلسفية جذرية عن طبيعة الذكاء نفسه، وموقع الإنسان في عالم يتشاركه مع كائنات ذكية صُممت لكنها تتصرف بطريقة مستقلة ظاهريًا.

أولًا ـ المفهوم وحدود الدلالـــــة: يُعرّف الذكاء الاصطناعي، اصطلاحًا، على أنه "القدرة التي تمتلكها الأنظمة الرقمية أو الحواسيب على أداء مهام معرفية يُفترض أنها من خصائص العقل البشري، مثل الاستدلال، التعلم، وحل المشكلات" (الرايس، 2024، ص62). غير أن هذا التعريف، وإن بدا محايدًا، يخفي خلفه جدلًا فلسفيًا عميقًا حول طبيعة الذكاء ذاته:

هل الذكاء سلوك خارجي قابل للتمثيل البرمجي؟ أم هـو تجربة داخليـة مركبة تتضمن الوعي، والنية، والوجدان، والذاكرة القيمية؟

يرى بعض المفكرين أن ثمة فرقًا جوهريًا بين "الذكاء الوظيفـــي" الذي يقيس الأداء، و"الذكاء المعنوي" الذي يرتبط بالإدراك الوجودي والمعنى الأخلاقي (زهران، 2021، ص41). ومن هنا ينبثق سؤال إشكالي:

هل تستطيع الآلة أن "تفهم" ما تفعل؟ أم أنها تنفذ عمليات معقدة دون وعي أو قصدية، بما يجعل ذكاءها محاكاة سطحية لذكاء الإنسان؟

ثانيًا ـ النشـــأة وسياقات التّطـور:

لم يكن الذكاء الاصطناعي وليد الحاجة البرمجية أو التقدم الصناعي فحسب، بل نشأ في رحم الفلسفة والمنطق الرياضي، حيث شكل سؤال إمكانية "محاكاة الفكر" هاجسًا

فلسفيًا منذ عصر ديكارت. وقد كان آلان تورينغ من أوائل الذين طرحوا إمكانية التفكير الحسابي، مُقدّمًا ما يُعرف بـ "اختبار تورينغ"، الذي لا يختبر ذكاء الآلة بقدر ما يختبر حدود إدراكنا للوعي والتمييز (Moor، 2006، ص82).

ومع تطور نماذج الذكاء الاصطناعي من الخوارزميات الصلبة إلى أنظمة التعلم العميق، تعمقت الإشكالية:

إذا باتت الآلة قادرة على تعديل سلوكها استنادًا إلى بيانات، فأين تقع مسؤولية الفعل؟

ـ هل ما تقوم به هو استجابة مشروطة، أم فعلٌ يقترب من الإرادة؟

ـ هذه الأسئلة تُعيدنا إلى جدل الحرية والحتمية في الفكر الفلسفي:

ـ هل الذكاء الاصطناعي يعيد إنتاج النزعة الحتمية في شكل تقني؟

ـ أم أنه يكشف عن حدود تصورنا للوعي بوصفه شرطًا للفعل الأخلاقي؟

ثالثًا ـ الإشكاليات المعرفية والفلسـفية:

تكمن الإشكالية الأبـرز في مفهوم " الوعي الاصطناعي". فبينما يرى البعض أن الوعي يتطلب تجربة ذاتية حسية ـ وهو ما لا تملكه الآلة- يذهب آخرون إلى القول إن التطـوّر في النماذج التفاعلية اللغوية قد يُنتج شكلاً من "الوعي الوظيفي" الذي يتطلب إعادة تعريف للذات (النجار، 2022، ص56).

من هذا المنظور، لا يبدو السؤال: "هل الآلة تعي؟"، هو الأهم، بل: "هل تحتاج إلى الوعي كي تتصرف بشكل أخلاقي؟"، وهل من الممكن تصميم نموذج أخلاقي يُمكّن الآلة من اتخاذ قرارات مسؤولة؟".

هذه الأسئلة تضعنا أمام مفترق فلسفي بين النظر إلى الأخلاق بوصفها سلوكًا خارجيًا قابلًا للبرمجة، وبين اعتبارها موقفًا داخليًا يتضمن الوعي بالغير، والشعور بالواجب، والنية الصادقة.

ثمّة إشكاليات أخرى تتصل بمكانة الإنسان ذاته:

إذا كانت الآلة قادرة على أداء وظائف معرفية مركبة، فهل يظل الإنسان "مركزيًا" في الكون المعرفي؟

وهل نحن بصدد إعادة صياغة الأنثروبولوجيا ذاتها في ضوء هذا الفاعل الجديد؟ أم أن الذكاء الاصطناعي مجرد مرآة تُعيد إلينا صورة وعينا بطريقة مغايرة؟

بناءً على ما سبق، لا يمكن النظر إلى الذكاء الاصطناعي إلا من خلال عدسة فلسفية نقدية تُحرّرنا من السذاجة التقنية ومن الإبهار الأداتي. فالمسألة تتجاوز سؤال "ما الذي

تستطيع الآلة فعله؟" إلى "ما الذي يعنيه أن تفعل؟"، و"كيف يؤثر ذلك في صورتنا عن الإنسان والعقل والمجتمع؟".

إن استيعاب هذه الإشكاليات ليس ترفًا فكريًا، بل ضرورة حضارية تُحدد كيف سنعيش في عالم تتشارك فيه الكائنات البيولوجية والرقمية المجال ذاته.

المبحث الثانـــي ـ أخلاقيات الذكاء الاصطناعي- المفهوم، التحديات، وإمكانات التأصيل العربي-:

إذا كانت التكنولوجيا، في مظهرها العام، تُعنى بالكيفية، فإن الفلسفة تُعنى بالجدوى والمغزى. وفي سياق الذكاء الاصطناعي، لم يعد ممكنًا فصل المسألة التقنية عن المسألة الأخلاقية، لأن الآلة لم تعد أداة صمّاء تنفذ الأوامر، بل أصبحت فاعلًا مشاركًا في اتخاذ القرار، بل وأحيانًا في توجيه السلوك الإنساني ذاته.

إن دخول الذكاء الاصطناعي في ميادين حساسة كالطب، القضاء، التعليم، والأمن، يدفعنا إلى مساءلة عميقة:

من المسؤول عن قرارات تتخذها خوارزمية؟

هل يجوز للآلة أن تحكم أو تقيم أو تقرر؟

وهل يمكن بناء "ضمير صناعي" يحاكي الفعل الأخلاقي البشري؟

هذه التساؤلات تُعد في جوهرها تجلّيات لإشكالية مركزية تتعلق بتحديد طبيعة الأخلاق: هل هي برمجة قيمية أم وعي وجودي؟ وما موقع الإنسان في عالم تتداخل فيه النية بالمعلومة، والقرار بالخوارزمية؟

أولًا ـ مفهوم الأخلاق في سياق الذكاء الاصطناعي

تُعرف أخلاقيات الذكاء الاصطناعي بأنها المنظومة القيمية التي ينبغي أن تؤطر مراحل تصميم وتطوير وتوظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي، بما يضمن احترام الكرامة الإنسانية، وتحقيق العدالة، وصون الخصوصية، ومنع التمييز (الشريف، 2023، ص22).

لكن هذا التعريف، رغم دقته، يطرح مفارقة فلسفية:

هل نُخضع الآلة لمعايير أخلاقية "خارجية"، أم نحاول برمجة "أخلاق" داخل بنيتها ذاتها؟

يشير بعض الباحثين إلى ضرورة تجاوز أخلاقيات "ردّ الفعل"، والتي تشرعُن بعد وقوع الضرر، إلى أخلاقيات "المسؤولية الوقائية" التي تتنبّه للمخاطر قبل حدوثها، وتدمج السؤال الأخلاقي منذ مرحلة تصميم النموذج (العتيبي، 2021، ص37).

وهذا يتطلب تغييرًا جوهريًا في طريقة تفكير المبرمج والمصمم، من منطق الكفاءة إلى منطق القيمة.

ثانيًا ـ التحديات الأخلاقية الكبرى:

تُواجه تقنيات الذكاء الاصطناعي أربعة تحديات أخلاقية محورية، تتقاطع فيها الأسئلة التقنية مع الإشكاليات القيمية:

1. تحـــيّز الخوارزميات: لا تُنتج الخوارزميات من فراغ، بل تتغذى على بيانات بشرية مشبعة بالتحيّزات العرقية والثقافية والطبقية. والنتيجة: أنظمة "ذكية" تعيد إنتاج اللاعدالة، حتى وهي تدّعي الحياد (الرباحي، 2022، ص91).

2. **غموض المسؤولية:** حين تُتخذ قرارات خاطئة بناءً على توصيات خوارزمية، تُطرح أسئلة جوهرية: من المسؤول؟ هل هو المطوّر؟ أم الشركة؟ أم النظام؟ هذه المسألة تُربك مفاهيم العدالة والمساءلة القانونية (حسان، 2020، ص55).

3. **الخصوصية والرقابة:** يعتمد الذكاء الاصطناعي على تحليل بيانات ضخمة، غالبًا دون علم الأفراد أو موافقتهم. وهكذا تتحول المعلومة من أداة خدمة إلى أداة مراقبة، وتُمارس السلطة من خلال الشفافية القسرية (المنصوري، 2023، ص112).

4. **تأثير الآلة على البنية القيمية:** حين يبدأ الإنسان بالاعتماد على الآلة في الحكم والتقييم، يُهدَّد الضمير الأخلاقي بالضمور، ويحل "المنطق الكمي" محل "المعيار القيمي". وهنا تُطرح أسئلة حول دور التقنية في إعادة صياغة الحس الأخلاقي لدى الأجيال الجديدة.

ثالثًا ـ إمكانات التأصيل الأخلاقي في السياق العربي:

لا يمكن استيراد أخلاقيات الذكاء الاصطناعي كما هي من السياقات الغربية، لأنها تنطلق غالبًا من تصورات فردانية ونفعية لا تتماهى بالضرورة مع المرجعيات الفلسفية العربية.

لهذا، يبرز السؤال الفلسفي: هل يمكن تأصيل أخلاقيات رقمية ذات جذور عربية؟

يمكن القول إن الفكر الإسـلامي، خاصـة في مقارباته المقاصـدية، يملك أدوات قوية في هذا المجـال. إذ أن مبـدأ حفظ النفس والعقل والكرامـة يمكن أن يُوجّـه تصـــميم الخوارزميات نحو خيارات تراعي الإنســان لا تســتغلّه (المرزوقي، 2022، ص78). كما أن البنية الأخلاقية الإســلامية، التي تُركّز على "النية" و"المقصــد" أكثر من الســلوك الظاهري، تُبرز فرادة في النظر إلى الأخلاق مقارنة بالنماذج الآلية التي لا تعترف

إلا بالفعل المُشاهد (النجار، 2021، ص34).

من هنا، لا تكون الغاية مجرد مواءمة أخلاقية، بل إنتاج خطاب قيمي نقدي يُراجع أصل العلاقة بين الإنسان والتقنية، لا فقط تنظيم نتائجها.

إن سؤال الأخلاق في عصر الذكاء الاصطناعي هو سؤال الفلسفة في أعمق تجلياتها: ما الإنسان؟ وما الذي يميزه؟ وما حدود سلطته على ما يصنع؟

إن الأخلاق ليست واجبًا قانونيًا فحسب، بل هي مشروع حضاري، يتجاوز المعايير إلى بناء تصور للعالم.

وعلى العالم العربي ألّا يكتفي بالاستهلاك الأخلاقي للنماذج الأجنبية، بل عليه أن يُسائل جذورها الفلسفية، ويقترح بدائل تنبع من بيئته الفكرية والروحية. ذلك أن الأخلاق ليست عبئًا على التقنية، بل بوصلتها.

المبحث الثالث ـ نحو ميثاق عربي لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي: بين التشريع، الثقافة، والتكامل المعرفي:

في سياق عالمي يتسابق لصياغة أطر تشريعية وأخلاقية تضبط علاقة الإنسان بالذكاء الاصطناعي، يجد العالم العربي نفسه أمام لحظة مفصلية: إما أن يكون مشاركًا في رسم ملامح المستقبل، أو أن يظلّ تابعًا لنماذج معرفية وقيمية لا تعبّر عن خصوصياته الثقافية.

لقد تجاوز الذكاء الاصطناعي دوره كأداة تقنية إلى كونه فاعلًا يعيد تشكيل بنية الإدراك والسلوك، وهذا ما يستدعي رؤية حضارية تؤسّس لعلاقة متوازنة بين التقنية والإنسان، قوامها الأخلاق والمعنى، لا فقط الكفاءة والمنفعة.

أولًا ـ ملامح غياب التأطير التشريعي والأخلاقي في العالم العربي:

رغم حضور الذكاء الاصطناعي المتزايد في ميادين الإدارة، الأمن، والتعليم، إلا أن البنية القانونية والأخلاقية في أغلب الدول العربية لا تزال بدائية أو غير موجودة. ويمكن تلمّس هذا الغياب في ثلاث ظواهر متداخلة:

1. **الاقتصار على البعد الأداتي للتقنية:** يُنظر إلى الذكاء الاصطناعي غالبًا كأداة للنمو الاقتصادي أو الأمني، دون الانتباه إلى ما يحمله من تحوّلات قيمية ومعرفية عميقة. وبهذا يُختزل "الفاعل التكنولوجي" في بعده الوظيفي فقط (القصير، 2022، ص44).
2. **الاغتراب التشريعي:** غالبًا ما تستنسخ بعض التشريعات العربية نماذج قانونية غربية دون تفكيك مرجعياتها الفلسفية، مما يُنتج قوانين مفصولة عن النسيج القيمي والثقافي

المحلي (الهواري، 2021، ص67).

وهذا يُعيد طرح سؤال: هل يمكن بناء تشريع أخلاقي دون خطاب فلسفي؟ وهل تكون القوانين عادلة إن لم تنبع من رؤية معرفية نقدية للمجتمع؟

3. **تهميش البعد الإنساني في السياسات التقنية**: يُلاحظ غياب أصوات الفلاسفة، والمفكرين، وأساتذة الأخلاق في النقاشات المتعلقة بسياسات الذكاء الاصطناعي، ما يؤدي إلى إنتاج "أخلاقيات بيروقراطية" خالية من الروح النقدية والبعد القيمي (البكري، 2023، ص18).

ثانيًا ـ مقترح ميثاق عربي لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي:

إن بناء ميثاق عربي لا يجب أن يكون مجرّد وثيقة تنظيمية، بل ينبغي أن يكون مشروعًا فلسفيًا وثقافيًا ومؤسسيًا، يشكّل نقطة التقاء بين العقل الفقهي، والفكر الفلسفي، والرؤية التقنية، من أجل تحقيق توازن بين الكرامة الإنسانية ومتطلبات العصر.

وفي هذا الإطار، يمكن أن يتأسس الميثاق على المبادئ الآتية:

1. **مركزية الكرامة الإنسانية:** يُرفض كل تطبيق للذكاء الاصطناعي يختزل الإنسان في أرقام أو يتعامل معه بوصفه "بيانات"، ويُعتبر كل قرار آلي ينتقص من إنسانية الفرد قرارًا غير مشروع (سالم، 2021، ص92).

2. **المساءلة الأخلاقية والتشريعية**: لا بد أن تُرافق كل منظومة ذكية جهة مسؤولة أخلاقيًا وقانونيًا عن قراراتها، لتفادي ضياع المسؤولية بين المبرمج والمستخدم والشركة (الجابري، 2022، ص76).

3. **ضمان العدالة والتنوع :** ينبغي فحص الخوارزميات قبل استخدامها لضمان خلوّها من التحيزات الثقافية والطبقية والعرقية. ويجب أن تعكس القيم المحلية لا أن تُفرض قيم غريبة باسم "الحياد البرمجي" (زيتون، 2023، ص109).

4. **حماية الخصوصية المعلوماتية**: تُعد الخصوصية حقًا أصيلًا، ويجب ألّا تكون ضحية للتطوّر التقني. فاستباحة البيانات باسم التطوير خيانة لجوهر الحرية الفردية (الصويغ، 2023، ص51).

5. **دمج البعد الثقافي في التصميم :** يجب أن يُصمّم الذكاء الاصطناعي بلغة وقيم وتصورات نابعة من السياق العربي، لا أن يكون استنساخًا أعمى لنماذج مهيمنة لا تفهم الثقافة المحلية.

ثالثًا- الثقافة كمدخل لمأسسة الأخلاق التقنية:

لا يمكن لأي ميثاق أن يتحوّل إلى واقع فعلي دون تجذير ثقافي وأكاديمي، وهنا تبرز أهمية التربية والمجتمع المدني والإعلام في إعادة تشكيل العلاقة بين الإنسان والتقنية. ويمكن اقتراح ثلاث آليات لذلك:

1- دمج الأخلاق التقنية في المناهج التعليمية: لا بد أن يُدرس سؤال الأخلاق جنبًا إلى جنب مع البرمجة والذكاء الاصطناعي، كي لا يتكوّن جيل كفء تقنيًا لكنه أعمى أخلاقيًا.

2- إنتاج خطاب إعلامي ناقد: ينبغي أن يتحول الإعلام من مروّج للذكاء الاصطناعي إلى ناقد له، من خلال إبراز أبعاده الاجتماعية والوجدانية، وتفكيك خطاب التقنية المحايدة.

3- تحفيز البحث الفلســـفي المحلي : لا يكفي أن نقرأ ما كُتب في الغرب، بل لا بد من دعم الأبحاث العربية في فلسفة التقنية، وتشجيع المثقفين على الدخول في حقل الذكاء الاصطناعي من زاوية نقدية.

الميثاق الأخلاقي الذي نتحدث عنه ليس وثيقة قانونية تُعلّق على الجدران، بل هو مشروع حضاري يعكس سؤالًا عميقًا: أي إنسان نريد في عصر الذكاء الاصطناعي؟ وما العلاقة التي نريد أن تبقى بين الإنسان وأدواته؟

إن العالم العربي لا يحتاج فقط إلى تقنين التقنية، بل ، إلى ردّها إلى مرجعيتها الإنسانية، بحيث تكون في خدمة الكرامة لا السيطرة.

الخاتمة:

في ضوء ما طُرح من مباحث فلسفية وأخلاقية متعلقة بالذكاء الاصطناعي، خاصة في سياقه العربي، يتضح أن هذه الظاهرة التقنية لم تعد مجرّد امتداد للأدوات، بل تحوّلت إلى تحدٍّ معرفي وإنساني يعيد طرح سؤال الإنسان من جديد: وعيه، حريته، مسؤوليته، ومرجعيته الأخلاقية. لقد حاولت هذه الدراسة أن تضع الذكاء الاصطناعي في مكانه الحقيقي كظاهرة تستدعي التأمل لا الانبهار، والنقد لا الاستهلاك، والسؤال لا التلقّي.

وفي قلب هذا التأمل، تبرز أهمية الفعل الفلسفي والنقدي بوصفه آلية لحماية الكرامة الإنسانية في زمن تسعى فيه الآلة إلى محاكاة الإنسان، بل وربما إلى تجاوزه. كما بيّنت الدراسة أن التعامل مع الذكاء الاصطناعي في السياق العربي يتطلب مراجعة مزدوجة: مراجعة داخلية نقدية للتراث والسياقات المحلية، ومراجعة خارجية لمناهج الاستيراد غير الواعي للنماذج الغربية.

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج وهي :

1. الذكاء الاصطناعي ليس تقنية محايدة، بل هو مشروع فلسفي يتضمن تمثّلًا للإنسان والسلطة والمعرفة.

2. توجد فجوة معرفية وتشريعية في العالم العربي تجاه الذكاء الاصطناعي، ما يهدد بخلق تبعية ثقافية وأخلاقية.

3. التحديات الأخلاقية للذكاء الاصطناعي – كالمسؤولية، الخصوصية، والتحيز – تتطلب موقفًا نقديًا عابرًا للتخصصات.

4. غياب التكامل بين الفلسفة والتقنية في الجامعات العربية يُضعف إمكانية إنتاج موقف معرفي مستقل.

5. التأصيل الأخلاقي العربي ممكن وضروري، ويمكن الاستفادة من تراث المقاصد الإسلامية والفلسفة النقدية الحديثة.

التوصيات:

1. إدماج البُعد الفلسفي والأخلاقي في مناهج التعليم التقني، حتى لا يُنتج الذكاء الاصطناعي مهندسين بلا وعي إنساني.

2. إنشاء مرصد عربي لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي، يُعنى بوضع سياسات، ورصد التطبيقات، وتطوير تشريعات متجددة.

3. إعداد ميثاق أخلاقي عربي للذكاء الاصطناعي، يعكس قيم العدل والكرامة والحرية ويستند إلى خلفية ثقافية أصيلة.

4. تشجيع البحث الفلسفي والنقدي في موضوع التقنية، عبر دعم الجامعات ومراكز الفكر.

5. نشر الوعي المجتمعي والإعلامي بأبعاد الذكاء الاصطناعي الأخلاقية، لضمان شراكة مجتمعية واعية في التوجيه لا التلقي.

إن مستقبل الذكاء الاصطناعي ليس قدرًا محتومًا، بل هو نتاج لاختياراتنا الأخلاقية والمعرفية اليوم. فإما أن يُعاد تشكيله ليكون امتدادًا لإنسانيتنا، يعزز قيم الحرية والعدالة والرحمة، وإما أن يُترك للمنطق الأداتي فيقود إلى تآكل المعنى وتشييء الإنسان.

في السياق العربي، تكمن الفرصة في تجاوز الاستهلاك السلبي إلى الفعل النقدي الخلّاق، وفي بلورة خطاب فلسفي قادر على محاورة التقنية لا مقاومتها، وعلى تكييفها لا الخضوع لها. فالمستقبل الأخلاقي للتقنية مرهون بمدى قدرتنا على إعادة بناء علاقتنا

بالمعرفة والسلطة، وعلى تجاوز الانبهار بالذكاء الاصطناعي نحو ذكاء أخلاقي جماعي.

وإذا كان الغرب قد بلغ مرحلة تنظيم العلاقة بين الإنسان والآلة قانونيًا، فإن على المجتمعات العربية أن تتقدّم خطوة أبعد: نحو مساءلة فلسفية للسؤال ذاته، ونحو بناء إنساني متجدد لا يجعل من الآلة مركزًا للكون، بل شريكًا واعيًا في خدمة الإنسان لا بديلاً عنه.

المراجع:

أولًا: الكتب

1. أبو زيد، نصـــر حامد .التفكير في زمن التكفير .بيروت: مركز دراســـات الوحدة العربية، 2005.
2. الجابري، محمد عابد .العقل الأخلاقي العربي .بيروت: المركز الثقافي العربي، 2000.
3. الراشـدي، محمد .الفلسـفة والتقنية: جدل الإنسـان والآلة .الدار البيضـاء: دار رؤية للنشـر، 2020.
4. الرايس، عادل .مدخل إلى الذكاء الاصطناعي والفكر البشري .بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، 2024.
5. زهران، هاني .الذكاء الاصطناعي والفلسفة: تأملات في العقل والوعي .القاهرة: دار رؤية للنشر، 2021، ص.
6. شـحرور، محمد .الإسـلام والإنسـان: من نتائج القراءة المعاصـرة .بيروت: دار السـاقي، 2011.
7. طهبوب، عمار .الذكاء الاصـــطناعي وأخلاقياته في الســـياق العربي .عمّان: دار كنوز المعرفة، 2022.
8. عصفور، جابر .ثقافة الخوف .القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006.
9. النجار، خالد .الوعي الاصطناعي: مقاربات فلسفية .عمّان: دار كنوز المعرفة، 2022.
10. نصر، زكي .مدخل إلى فلسفة التكنولوجيا .القاهرة: دار الفكر العربي، 2018.

ثانيًا: الدوريات العلمية

1. الحســـن، ســـعاد. "تحديات أخلاقيات الذكاء الاصـــطناعي في العالم العربي ."مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج. 35، ع. 2، ص. 113–132، 2021.

2. العزاوي، علاء. "فلسفة الذكاء الاصطناعي: قراءة نقدية ."مجلة الفكر الفلسفي، مج. 14، ع. 1، ص. 77–95، 2020.
3. محمد، ريم. "القيم الإنسانية في تصميم الأنظمة الذكية ."مجلة الدراسات التكنولوجية، مج. 11، ع. 3، ص. 56–70، 2023.
4. يوسف، لطفي. "المجتمع العربي وتحديات الرقمنة الأخلاقية ."مجلة المعرفة، مج. 45، ع. 5، ص. 44–61، 2019.

ثالثًا: الرسائل العلمية

1. البكري، وسام. "أخلاقيات الذكاء الاصطناعي في الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية مقارنة". رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الفلسفة، 2022.
2. الخطيب، ندى. "الذكاء الاصطناعي وتحديات الهوية الثقافية في العالم العربي". رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بيرزيت، كلية الدراسات العليا، 2021.
3. فرحات، كريم. "المنظور الإسلامي لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي". رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الزيتونة، كلية الشريعة والفكر الإسلامي، 2020.

رابعًا: المراجع الأجنبية

1. Moor, James. "The Nature, Importance, and Difficulty of Machine Ethics." IEEE Intelligent Systems, vol. 21, no. 4, pp. 18–21, 2006.